'انتفاضة' الصدريين وموقف مرعب آخر للأمريكان!

05-4-2004

وأرادت أن تختزل القضية العراقية في انتخابات كثر اللغط حولها أو بنوع من المكر، "إرهاب" الفلوجة، مقابل "حكمة" النجف، لكن تطورات الأحداث فرضت أكثر من بؤرة قلق وجحيم، وامتدت شظايا المواجهات إلى الجنوب، بل إلى موطن "الحكمة"!

يبدو أن الجنوب الشيعي تحول إلى بؤرة أخرى للقلق الأمريكي، بعدما أصبح العالم كله يدرك خطورة "فلوجة" على الاحتلال، حتى وصفوها بـ"فيتنام ثانية". ففي الوقت الذي يعارض فيه أحد المراجع الأساسية لشيعة العراق, آية الله علي سيستاني, الدستور المؤقت, وقد يصدر فتوى ضده, وضد المشاركة في النظام "الهش" الذي قد يتولى السلطة بعد "استعادة" السيادة بحلول 30 يونيو، يثير الصدر مخاوف الاحتلال, من احتمال تبنيه لخط المواجهة، وهو ما يشكل كابوسا أسودا لواشنطن، خاصة بعد الاشتباكات الأخيرة بين أتباع الصدر وقوات الاحتلال أسفرت عن مقتل وجرح أمريكيين وجنود آخرين من القوات "السلفادورية"، ومصرع عشرات العراقيين.
ووصفت صحيفة "النيويورك تايمز" أحداث الجنوب الأخيرة بأنها :"ثورة شيعية منسقة تنتشر في كل أنحاء البلاد, من مناطق عشوائية في بغداد إلى عدة مدن في الجنوب"، وهو ما لم تكن تتوقعه دوائر الرصد في واشنطن، إذ يُفترض في الشيعة أن يكونوا "هادئين متفهمين".
وبينما كان البعض مستغرقا في الانشغال بالتوقعات والتنبؤات حول اندلاع حرب أهلية بين الشيعة والسنة، وذلك إما في أعقاب انسحاب أمريكي أو حتى في ظل الاحتلال، إذا بـ "السيناريو" المرعب الأسوأ بالنسبة للأمريكان يباغت الاحتلال ويربك مخططاته وتوقعاته.
ومن شأن هذا الوضع –إذا استمر- أن يدفع الشعب الأمريكي لتغيير موقفه، بعدما تعرض لغسيل مخ عنيف، حيث إن العراقيين الذي قدم الأمريكان لتحريرهم (وهذا ما أوهم به الجمهور الأمريكي) يرفضون الاحتلال بمختلف طوائفهم ومذاهبهم، ذلك أنه، وإلى وقت قريب، راهنت واشنطن على "الصمت" الشيعي وكذا "تواطؤ" بعض زعمائهم بشكل أو بآخر.
ويبدو أن اتجاهات وتطورات الأوضاع في العراق ستنفلت شيئا فشيئا من أيدي المخططين الأمريكان وقد تؤول إلى عكس ما خططوا له.
فبعد أن.فكرت الإدارة وخططت لمهاجمة العراق من بداية عملها في يناير 2001، استحسن بعض كبار المسئولين إدراج سوريا وإيران المجاورتين في قائمة الاستهداف كجزء من الخطة الشاملة لتغيير الشرق الأوسط .
وقد سمحت أجواء الحزن التي أعقبت هجمات سبتمبر, وكذا تعاون وسائل الإعلام الخاضعة لجدول أعمال عصابة البيت, للإدارة أن تنكب على تنفيذ خطة مهاجمة العراق بدعم شعبي محلي كبير.
واستحسن بعض أعضاء الإدارة أن يبدأوا بالهجوم على أفغانستان كإرهاص بين يدي الحملة على العراق، ومحاولة الربط بين القاعدة والعراق.
ولما تعذر عليهم الحصول على مبرر الغزو من (سي آي ايه), أنشئوا مكتب الخطط الخاصة في وزارة الدفاع لصناعة حالة الحرب على العراق.
وقد تسببت الحرب على أفغانستان الإطاحة بحكم طالبان وإقامة نظام آخر، غير أن تطورات

الأحداث هناك سرعان ما عززت العودة القوية لطالبان والقاعدة خاصة في الجنوب الشرقي لأفغانستان، وعمقت الشعور المناهض للولايات المتحدة في باكستان وفي مناطق أخرى..
استمرت طالبان في استرجاع "مجدها" واستردت السيطرة على بعض مناطق الباشتون، ولا تبدو إدارة بوش مهتمة كثيرا بهذه التطورات لأن أفغانستان كانت منذ البداية مجرد عارض في الطريق نحو بغداد.
وبعد غزو العراق ازداد منسوب الكراهية نحو الولايات المتحدة وشمل حتى شعوب البلاد الأوربية.
وفي الأخير، لم يحرر العراق, لكن أُلقي في الفوضى، وواجه الاحتلال مقاومة شرسة تتسع رقعتها يوما بعد يوم.
ظل الاحتلال حريصا على تحجيم المقاومة وحصرها جغرافيا في حدود ما يسمى بـ"المثلث" السني، وبالتوازي تحركت على أكثر من محور ومستوى، لتحيد الشيعة من خريطة المواجهة، وأكثر من هذا حاولت أن تدفع بهم زحف المقاومة السنية، وأرادت أن تختزل القضية العراقية في انتخابات كثر اللغط حولها أو بنوع من المكر، "إرهاب" الفلوجة، مقابل "حكمة" النجف، لكن تطورات الأحداث فرضت أكثر من بؤرة قلق وجحيم، وامتدت شظايا المواجهات إلى الجنوب، بل إلى موطن "الحكمة"!
ولا يمكن استبعاد –بأي حال من الأحوال- الدور الإيراني (وتحديدا الحرس الثوري) عما يحدث داخل التيار الصدري من انتفاضة، وأكثر من ذلك، يُراد له(إيرانيا خاصة من تيار المحافظين) أن يتحول إلى كتلة مشتعلة، وقد تطابقت الرغبة الإيرانية في الحد من نفوذ مرجعية السيستاني في العراق وخارجه (فهو من دعاة إبعاد الفقهاء والعلماء من قضايا السياسة والحكم) وإحداث توازن بينه وبين الصدر، ويدعم هذا الخط أحد المراجع العراقيين المقيمين في قم وهو الحائري المقرب من مرشد الثورة الإيرانية آية الله خامنئي، مع طموح الشاب مقتدى الصدر (الذي ورث رصيد العائلة ونضالها) في الزعامة وضعف رؤيته السياسية وقلة خبرته وحنكته، وما نشهده اليوم في الجنوب هو –في بعض جوانبه- محاولة تصفية حسابات بين التيار اليميني في إيراني وبين واشنطن خاصة مع تزايد التوتر بين إيران ووكالة الطاقة الذرية. لكنّ هذا لا يلغي حقيقة قائمة، وهو أن ما حدث (ويجري حاليا) في الجنوب يعاكس الخطط الأمريكية ويورطها أكثر في "المستنقع" العراقي من شماله إلى جنوبه مرورا بوسطه.